مقدمات

(١) ﴿ معنى الخلق ﴾

الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً * يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الظاهر والباطن * فيراد بالخلق الصورة الظاهرة * ويراد بالخلق الصورة الباطنة . — وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر * ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة * ولكل واحد منهما هيئة وصورة * اما قبيحة واما جميلة : فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر * ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه إذ قال تعالى (انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين * والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد * فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعاً — سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً * وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة — سميت الهيئة التى هي المصدر خلقاً سيئاً (١)

---

(١) الغزالى

(٢) ﴿ قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة ﴾

يزعم بعض من يستثقل المجاهدة والرياضة : أن الاخلاق لا يتصور تغييرها : ولو صح ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات * وكيف ينكر هذا في حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن * إذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الانس * والكلب من شره الأكل الى التأدب والامساك والتخلية * والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد . وكل ذلك تغيير الاخلاق فأجدر بالانسان أن يتغير بالرياضة خلقه — وذلك بأن لا يقهر هواه العقل ولا يغلبه * بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه وذلك ممكن فانه ربما يستولى الغضب على المرء بحيث لا يقوي على دفعه وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال — وهو المراد بتغيير الخلق فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها [1]

(٣) ﴿ مفتاح السعادة تربية الافراد على العلم والعمل ﴾

قال حكيم : لما كان شرف الانسان بالقوة المدركة * لزم تهذيبها لتكف صاحبها عن المساوىء وتدفعه الى المحاسن * فتتمهد أمامه مسالك الحياة * وتتوفر له أسباب السعادة فيعيش في الرغد والهناء * وإلا تسلطت عليه المساوىء * وانغمس في الشهوات * وضل عن سبيل

(١) الغزالى

الالفة والتحاب . وأنس بالجهل واستطاب الخمول * ومن الثابت أن المرء اذا حسنت تربيته . وتم تهذيبه * كانت أعماله قويمة وأخلاقه مستقيمة * واذا فسدت تربيته انعكست أعماله * وساء خلقه * وسعادة مجموع الامة متوقفة على تربية الافراد * فاذا تهذب الافراد وتربوا على الفضائل وأخذوا بأصول الدين تهذب المجموع وصاروا أعضاء جسم واحد وخير التربية ما كان من حال الصغر * إذ يكون الانسان مستعداً بالفطرة لقبول الخير. وتقويم أود النفس * كالغصن اللين في مبدأ نموه اذا قومته استقام * لهذا كان من الواجب القيام بتربية الاطفال وتلقينهم دروس الآداب والحكمة منذ نعومة الاظفار *

(٤) ﴿ حاجة العلم الى الاخلاق الفاضلة ﴾

الرجال بالاعمال . والاعمال آثار الصفات والاخلاق. وبذلك يتفاضل الناس لا بالعلوم وحدها أو إجازات المدرسين أو شهادات المدارس فحسب * وذلك لان العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيما في قومه . نافعا لامته ووطنه * فان العلم آلة تديرها الاخلاق . فاذا كانت أخلاقه فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون يضرّبه ولا ينفع * فالرجل لا يكون عظيما الا بعلومه الكاملة . وأخلاقه وأعماله الفاضلة . (١) وبالجملة فيجب أن يعلم أن الانسان وان كان هو بكونه إنساناً أفضل موجود فذلك بشرط ان يراعى ما به صار انساناً وهو العلم الحق .

(١) لحكيم شريف بزيادة

والعمل المحكم * فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل ولهذا قيل (الناس أبناء ما يحسنون) أى ما يعرفون ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة . (١)

الباب الاول في أدب النفس

كل من أعار الوجود نظرة البصير علم أن حاجة المرء الى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة لان الانسان إلى الشر أميل منه الى الخير والى الشهوات النفسية منه الى الكمالات الروحية فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه . وتحليته بالمحاسن والفضائل وتطهير نفسه من المساوىء والرذائل فيصبح محمود الاقوال والافعال مثالا للفضيلة والكمال . وهاك شذرة مما يلزمك أن تتخلق به من آداب نفسك :

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، لا تستخفن بفاضل شريف، لا تميلن الى سخيف ، لا تقولن هجراً لئلا يسقط قدرك ، لا تفعلن منكراً لئلا يقبح ذكرك ، إياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويحرك من عدوك ما سكن ، فكلام الانسان بيان فضله ، وترجمان عقله ، فاقصره على الجميل ، واقتصر منه على القليل ، وإياك وما يستقبح من الكلام ، فانه ينفر عنك الكرام ، ويوثب عليك اللئام، اياك واللجاج فانه يوغر القلوب ، وينتج الحروب ، فاقتصر من الكلام

(١) الذريعة للاصفهانى